المركز الوطني للأبحاث الموهبة والإبداع

دور رياض الأطفال في رعاية الأطفال الموهوبين

المركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع
The National Research Center for Giftedness and Creativity

نُنتج المعرفة .. لبناء العقول المبدعة

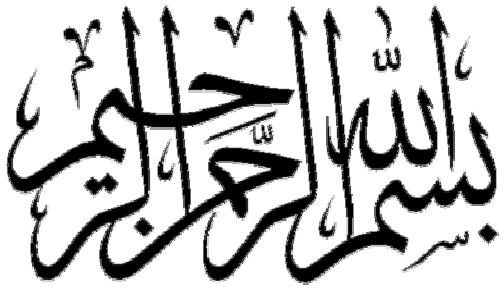

مقدمة

تُعدُّ مرحلة رياض الأطفال إحدى مراحل النمو الهامة التي يستطيع الأطفال (من سن ٣ إلى ٥ سنوات) خلالها تنمية مواهبهم وصقل إبداعاتهم. وعلى الرغم من وجود مهارات ينبغي تعلُّمها نظراً لأن النجاح المستقبلي في التعليم المدرسي يعتمد عليها، إلا أن أهمية تلك المهارات تقل عند مقارنتها بأهمية اكتساب الأطفال لفهم طبيعة عملية التعلُّم ولدورهم في هذه العملية. ومن ثم تمثل مرحلة رياض الأطفال (ما قبل المدرسة الابتدائية) السنوات التى يتعلم فيها الأطفال أن التعلُّم متعة، وأنهم متعلمون، وأن لديهم مدى متنوعاً من المواهب. وتوجه رياض الأطفال المتميزة الأطفال إلى مسار من الاستكشاف والنجاح.

خصائص الأطفال في مرحلة رياض الأطفال

يلتحق الأطفال برياض الأطفال وهم مزودون بالفعل بالصفات التي يسعى المعلمون إلى إكسابهم إياها عند تخرجهم من المرحلة الثانوية. وعادة ما يشعر الأطفال عند بداية التحاقهم برياض الأطفال بالإثارة المصحوبة بالألم لانفصالهم عن أسرهم. ويتعلم هؤلاء الأطفال بحماسة مع أقرانهم، ويتصفون بروح المغامرة فى استكشافاتهم، كما يحبون التعلُّم. ولكي نتصف بالدقة، فإن علينا أن نقرر أن ذلك الأمر لا ينطبق على جميع التلاميذ الملتحقين برياض الأطفال. ولكن هذه الخصائص تمثل سمات غالبية الأطفال من سن ٣ إلى ٥ سنوات ونحن نشاهدهم وهم يستكشفون ويتعلمون بحماسة ونشاط. ويعتقد غالبية الأطفال الملتحقون برياض الأطفال أنهم أذكياء، ويفتخرون بمواهبهم، ويرغبون في المخاطرة لكي يتعلموا. وغالباً ما تتغير هذه الصفات عند التحاق الأطفال بالصف الأول الابتدائي. والسؤال هو لماذا؟

والإجابة هي إن رياض الأطفال مُصمّمة لاكتشاف وتنمية قدرات الأطفال المتميزة وميولهم. ويركز المعلمون فى رياض الأطفال على الفهم والمهارات المهمة والضرورية، وعلى منهج دراسي يتصف بالثراء والتدرج. ويتناقض هذا غالباً مع فلسفة وتوجهات التعليم في الصف الأول الابتدائي. ونتيجة لهذا تولي المدرسة الابتدائية تركيزاً حصرياً على المهارات، ومساراً محدداً بدقة للتعلُّم.

إدارة المواهب المتنوعة

يتمتع جميع الأطفال بمدى متنوع من الذكاءات والميول. وأحد سبل إدارة هذه المواهب المتنوعة هو تصميم المناهج وطرق التدريس وفقاً "لنظرية جاردنر للذكاءات المتعددة". ويعني الإيمان بوجود ذكاءات متعددة فهم وقبول حقيقة أن لدى الأطفال قدرات متميزة في العديد من المجالات المختلفة. ولا تهدف رياض الأطفال إلى ترتيب الأطفال ترتيباً تنازلياً من حيث قدراتهم ومعارفهم، كما لا تهدف إلى اكتشاف ما الذي يفشل الأطفال في القيام به. ولكنها تهدف إلى التركيز على ميول ومواهب الأطفال صغار السن، وعلى تدريب هؤلاء الأطفال على الاختيار من بين البدائل المختلفة وعلى حل المشكلات، وعلى ضمان تعلُّمهم في جو من المرح والسعادة .

وغالباً ما يصمم معلمو رياض الأطفال مراكز تعلُّم تكتشف الأنواع المختلفة من الذكاء لدى التلاميذ. وتتصف مراكز التعلُّم داخل رياض الأطفال بكونها أماكن يستطيع فيها الأطفال اللعب وارتداء ملابسهم ولعب الأدوار المختلفة، وبكونها ذات مساحات تسمح للأطفال بالجري وممارسة الرياضات التي تقوم على رمي الأشياء، وبكونها بيئات يستطيع فيها الأطفال تربية الحيوانات والتعامل مع البيئة. ويمكن أن تضم رياض الأطفال أيضاً مراكز فنية للرسم ولعمل التماثيل باستخدام الصلصال، ومراكز موسيقية تضم الطبول وآلات النفخ، ومراكز للعمل الجماعي تضم مجالات يمكن من خلالها أن يتعلم الأطفال كيفية التعاون وتبادل الأفكار والآراء.

ويتم تشجيع وتنمية الإبداع لدى الأطفال في رياض الأطفال من خلال منح التلاميذ العديد من الفرص والخبرات التعليمية. ومن خلال هذه الخبرات المربية يستطيع التلاميذ إدراك أفضل السبل لتنفيذ المهام التعليمية، وفهم أن هناك أكثر من طريقة صحيحة لحل المشكلات. وينمو الإبداع عندما يتم تدريب الأطفال على استخدام سبل مختلفة لحل المشكلات، وعلى التفكير بطريقة غير تقليدية. ويحتاج المعلمون إلى إظهار تقديرهم للإبداع في كل ما يقولونه، وما يفعلونه، وفى كيفية التفاعل والتواصل مع تلاميذهم في رياض الأطفال. ويدرك المعلمون الناجحون أن الإبداع عملية غامضة وبطيئة أحياناً، كما يستمتعون برحلتهم في التدريس مع تلاميذهم.

تعلَّم كيف تتعلَّم

ويعني ذلك بصورة عملية أن يقوم المعلمون بتحدي واستثارة قدرات التلاميذ من خلال إعطائهم مجموعة متنوعة من أساليب التعلُّم. ويتعلم جميع التلاميذ أحياناً بنفس الطريقة. وفي الحقيقة فإن تعلُّم كيفية التعلُّم (Learning How to Learn) في أثناء الجلوس والاستماع هي مهارة مهمة، ولكنها صعبة بالنسبة لبعض الأطفال. ونظراً للتأثير الكبير لمدخل تعلّم كيفية التعلُّم" على مستقبل الأطفال فمن المهم أن يتقنوه. وبالمثل، فمن المهم أن يتعلم الأطفال كيف يكونون أعضاء ناجحين في الجماعة، وهذا يعني أن عليهم أن يتعلموا كيف يكونون قادة متميزين وأتباعاً فاعلين في مواقف مختلفة. وعلى الرغم من سهولة تنفيذ الأطفال لأحد هذين الدورين، إلا أنه من الصعب لعب الدورين معاً بوساطة نفس الطفل.ويُعدُّ "الاستماع النشط" و"الانتماء الناجح كعضو فى جماعة" جزءاً من الأدوار المألوفة التي يدرب معلم رياض الأطفال الناجح تلاميذه عليها.

وبالإضافة إلى هذه الأمور الأساسية، فمن الضرورى إعطاء التلاميذ عدة خيارات تتصل بطرق تعلُّمهم. ومن ثم، فالمهمة الأولى لمعلم رياض الأطفال هي ضمان تناول مراكز التعلُّم داخل الصف لجميع مجالات تميز ومواهب كل تلميذ. وعلى الرغم من أن مراكز التعلُّم داخل الصف تركز على تعلُّم التلاميذ لكيفية القراءة والكتابة والحساب، إلا أنها يجب أن تركز أيضاً على "الذكاء المدرسي" الذي يغطي مدى كبيراً من المواهب.

وعلى الرغم من أهمية دور كل من مراكز التعلُّم والمناهج الدراسية المتناغمة مع مستويات النمو العقلي والمهاري والحركي في تنمية مواهب التلاميذ الملتحقين برياض الأطفال، إلا أن أكثر العناصر تأثيراً على رعاية وتنمية مواهب الأطفال هو اتجاهات المعلم نحو التلاميذ، وفهمه أن لدى جميع التلاميذ درجات متباينة من المواهب المختلفة. وقد أشارت الباحثة الشهيرة "كارول دويك" (Carol Dweck) فى كتابها المهم "الأنماط والعادات العقلية" (*Mindsets*)والصادر عام ٢٠٠٦ ''أن أنماطنا في التفكير تؤثر على نجاحاتنا، وبالتالي فإن نظرتنا إلى التفكير على أنه عملية متطورة باستمرار يسهم في نظرتنا إلى الذكاء باعتباره مكوناً قابلاً للنمو المطرد. وتؤدي هذه النظرة الديناميكية إلى قبولنا للقيام بالمخاطر وللتعلّم مدى الحياة. ومن أساليب تنمية هذه النظرة الديناميكية لدى الأطفال مدحهم عند بذل الجهد وعند الإصرار والمثابرة، بدلاً من مدحهم باعتبارهم موهوبين أو أذكياء''.

وبالمثل فإن معلم رياض الأطفال الناجح يخفف من صدمة إخفاق التلاميذ في تأدية بعض الأنشطة التعليمية، ولكنه لا يمنعهم من الإخفاق كلية؛ فالقضية هي التعلّم من الأخطاء الجديدة وليس تجنب الأخطاء أو تجنب تكرار الأخطاء. والأخطاء جزء أساسي من العملية الإبداعية. وإذا أردنا لأطفالنا أن تنمو معارفهم وقدراتهم ومواهبهم، وأن يصبحوا مبدعين، فإن علينا أن نعلمهم كيف يتقبلون الإحباط بل والفشل في بعض الأحيان. وينبغي على معلمي رياض الأطفال أن يهيئوا بيئات

ومن المهم ضمان قيام مراكز التعلُّم بما هو أكثر من مجرد شغل أوقات التلاميذ وإضفاء البهجة عليهم، ومن ثم يجب أن تعمل هذه المراكز على استثارة وتحدي قدرات التلاميذ، وأن تشجعهم على تنميتها. وعندما تراعي مراكز التعلُّم مستوى القدرات لدى التلاميذ، وتعمل على تنمية دافعيتهم بحيث يعيشون تجربة ذات مستوى معقول من النجاح بصورة تحفزهم على بذل مزيد من الجهد، تبدأ مواهب هؤلاء الأطفال في التفتح. ويعني هذا بالطبع أن يوجد داخل الصف الواحد عدة مراكز للتعلُّم يقدم كل منها مستويات مختلفة من الصعوبة تتناسب مع القدرات والاستعدادات العقلية المتباينة للأطفال. ويوجه المعلم الناجح الأطفال إلى المستوى التعليمي الذي يتحدى قدراتهم وينميها ويرتقي بها.

اتجاهات التلاميذ والمعلمين

إن العامل الرئيس الأول في نجاح هذا المدخل لرعاية الموهوبين في رياض الأطفال هو المعلم.ويجب أن يعرف المعلم كلاً من ميول ومواهب الأطفال، على الرغم من أن هذا وحده ليس كافياً . ولهذا فإن على معلم رياض الأطفال أن يفهم أيضاً أساليب التعلُّم المفضلة لدى تلاميذه، وقدرتهم على مواجهة الإحباط وتجاوز الصعوباتوتُعدُّ اتجاهات التلاميذ نحو التعلُّم العامل الرئيسي الثاني لمقدار ما يمكن أن يتعلمه هؤلاء التلاميذ. ومن ثم فإن على معلمي رياض الأطفال الاهتمام بهذا النوع من الاتجاهات بتركيز وبنشاط وهمة.

تعليمية توجد فيها بعض المعضلات والنكسات لكي يتم تدريب التلاميذ على التعامل الناجح مع هذه الانتكاسات. ويساعد المعلمون الناجحون التلاميذَ على فهم أن ارتكاب الأخطاء هو جزء جوهري وأساسي من عملية التعلُّم الفعالة.

ولمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى:

Hoerr, Thomas, "Preschool", in Kerr, Barbara (ed.), *Encyclopedia of Giftedness , Creativity and Talent, vol. 2* (Thousand Oaks, California: SAGE Publications Inc. , 2009), pp.700-701.

نتاج المعرفة.. لبناء العقول المبدعة

المركز الوطني لأبحاث الموهبة والإبداع
The National Research Center for Giftedness and Creativity

إبداع تعاون ولاء وانتماء جودة